جامعة البصرة
كلية الاداب
قسم اللغة العربية

بلاغة الخطاب التاريخي
عهد الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر
في المنظومة الخطابية

الاستاذ المساعد الدكتور
صلاح حسن حاوي

ملخص الدراسة باللغة العربية

تتوجّه هذه الدراسة الى معاينة نهج البلاغة عبر ثلاثة افتراضات:-

الافتراض الاول: امكانية أن ينظر خطاب نهج البلاغة بوصفه خطاباً تاريخياً، وتستمد الوثائق والعهود (النصوص المتشكّلة داخل الخطاب) تلك الصفة من النهج.

الافتراض الثاني: البحث عن تقديم مقترح قراءة بلاغية للخطاب التاريخي بشكله العام ومن ثمّ جعل (عهد الامام "ع" الى الاشتر) نموذجاً لهذا الاقتراح

الافتراض الثالث: توسيع دائرة الدراس البلاغي ومحاولة استقدام نصوص وخطابات لم تكن من ضمن اهتمام وعناية الباحثين البلاغيين، عبر الانشغال التقليدي بالخطابات المركزية العليا (القرآن، الشعر ، والنثر) والدعوة الى جعل خطابات اخرى لم يعتنَ به محوراً جديداً للدراسة البلاغية، وهذا الافتراض سيفتح افتراض تقديم مصطلحات ومفاهيم بلاغية تتناسب مع نوعية الخطابات المقترحة للقراءة.

وقدّمت هذه الدراسة محاور العمل متوزعة على الشكل الاتي

١- ثلاث اضاءات تناقش الافتراضات التي اعلنا عنها.
٢- تحليل خطاب العهد وموقع الامام مؤرخاً ومنتجاً خطابياً، عبر اقتراح مصطلحي المتكلم التاريخي والمتكلم الخطابي.
٣- قدرة الخطاب – بوصفه مكونا اجتماعياً- على انتاج الهوية وفاعليتها داخل المرسلة الخطابية بين المرسل (الامام) والمرسل اليه (الوالي) و قناة الارسال (العهود والمواثيق) ورابعهما السياق لما يكشف عته من مناسبة.
٤-العناية بمفهوم المنظومة الخطابية الذي يجعل النص (عهد الامام الى الاشتر) يسهم بشكل فعّل في ان يكون جزءاً من خطاب يمثّل تصورات

الامام(ع) الاجتماعية والسياسية والفلسفية والعقدية وغيرها ومن ثم توثيقها لتكون خطابا تاريخيا متكاملاً.

٥- عقد المقارنة والتصحيح بين خطاب النهج وكتب التاريخ ، عبر تثبيت الواقعة او الحادثة التاريخية ومن ثم مناقشتها بين الخطابين (النهج- وخطاب الطبري والمسعودي) .

٦- الانتهاء بقراءة ختامية مثّلت بعض الاستنتاج ومقترحات قد يهتم بها الباحث او غيره من الباحثين مستقبلا، من أجل منح الدرس البلاغي فاعلية تتزامن مع طبيعة الخطابات المؤثرة في المجتمع.

Abstract

The Rhetoric's of the Historical discourse " Covenant of Imam Ali(peace be upon him) to Malik Al-Ashter. In the system of speech

This study aims to examine the approach of rhetoric through three assumptions:

The first assumption: the discourse of rhetoric can be seen as a historical discourse, and documents and covenants (texts formed within discourse) derive that characteristic from the approach .The **second assumption:** the search for a proposal to read rhetorically the historical discourse in its general form and then make (the era of Imam " peace be upon him " to the buyer) as a model for this proposal. **The third assumption:** to expand the circle of rhetorical studies and to try to bring texts and speeches that were not of interest and concern to the linguists, through the traditional preoccupation with the high central letters (Quran, poetry and prose) and the call to make other letters not a new focus of rhetorical study. Provide terminology and rhetorical concepts commensurate with the quality of letters proposed for reading. This study presented the following areas of work.

1- Three illuminations discuss the assumptions we have made.

2 - Analysis of the speech of the Covenant and the location of the historian Historically and produced rhetorically, by proposing the terms of the historical speaker and the rhetorical speaker.

3 - The ability of discourse -as a social component -to produce identity and effectiveness within the transmission of speech between the sender (the imam) and the consignee

(Wali) and the channel of transmission (covenants and charters) and the fourth context to reveal his dementia of occasion.
4 - Taking care of the concept of the system of rhetoric, which makes the text (the era of the Imam to Ashtar) contribute in an act to be part of the speech represents the perceptions of the Imam (p) social, political, philosophical, nodal and other and then document it to be an integrated historical speech.
5 - The comparison and correction between the approach speech and history books, by confirming the historical incident or incident and then discussing between the two speeches (approach - and the letter of Tabari and Masoudi).
6 - Finalization of the final reading represented some conclusion and suggestions that may be interested in the researcher or other researchers in the future, in order to give the lesson rhetorical effectiveness coincides with the nature of influential discourse in society.

إضــاءة أولى

ما الخطاب التاريخي؟ وهل هناك فرق بين التاريخ بوصفه سروداً ماضية والتاريخ بوصفه خطاباً ؟

عندما نتابع التصوّر اللغوي للتاريخ سنجده مرتبطاً بمفهوم الزمان، إذْ تقول العرب: أرّخ الكتاب بمعنى حدد الكتاب، فصّل تاريخه وحدّدَ وقته[١]، واصطلاحاً – حسب المقريزي– هو الأخبار عمّا حدث في العالم في الماضي، أو هو ((فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت ،...، أمّا موضوعه فالإنسان والزمان))[٢] وبذلك تكون مهمة التاريخ توقيت الحادثة التاريخية ونقلها بتفاصيلها الدقيقة، لان التاريخ هو التوقيت، أما صور التاريخ فهي متنوعة بين القصص والأساطير والسير والمغازي، وكلُّ هذه الصور يسهم الخبرُ في تشكّلها، أي انه البنية الاساس في انتاجها ضمن المعرفة التاريخية، ولذا يقول جواد علي: إنّ العرب لم يطلقوا لفظ "المؤرخ" على من يشتغل في التاريخ، بل يُطلقُ هذا اللفظ على "الاخباري" لاشتغاله بالأخبار[٣] فالخبر – بوصفه بنية معرفية – جزءاً رئيساً في تشكّل التأريخ، حيث ان التاريخ الأول اتخذ شكلا محددا في الخبر، وهو الشكل الأصل للتاريخ العربي[٤] كما أنّ للتاريخ وصفاً ومهمة وصوراً، فهو يصف الحوادث ويشخصها، ومهمته استنطاق الماضي.

أمّا عن الخطاب، ففي واحد من التعريفات المتداولة لمفهوم الخطاب بأنه اللغة عند الاستعمال، وحسب ما تصوّره دي سوسير بأنه مرادف للكلام[٥]، وهذا الاعلان الصريح على الانتقال من الجماعية الى الفردية، حيثُ يمكن للفرد أن يمنح اللغة شكلها الاستعمالي عبر تضمينه نمط استعماله وكيفية تلقي الناس المشاركين له في هذا النمط عبر مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة، فهناك الخطاب السياسي، والخطاب الطبي، والخطاب الرياضي[٦] وهذا ينسحب على التاريخ عندما يكون خطاباً يرتبط بمستعمله، ويخرج من دائرة الكتابة التاريخية العامة الى الكتابة الخاصة في التاريخ، وكيفية بناء خطاب تاريخي ينسجم مع رغبات المؤرخ أو الكاتب في هذا الحقل، أمّا الوجهة الاخرى التي يمكن من خلالها

وصف التاريخ خطاباً فهو العناية بكيفيات تشكّل التاريخ، والعناية بلغته، اذ لا تتفق هذه الدراسة والرأي القائل: إن لغة التاريخ لغة علمية والمؤرخ يخرج من حظيرة الادب ولغته تتعارض مع اللغة الادبية[٧] بل تؤمن بأن اللغة التي قُدّم بها التاريخ هي نفسها اللغة التي قُدّم بها الادب والفنون، فيها من المجازات والكنايات ما لا نجده في لغة العلوم المصطنعة والمحمية بالمعادلات والارقام، وقد اقترح هايدن وايت إعادة التفكير في التاريخ بأنه نوع من الادب، لكنّ على المؤرخين او المشتغلين في التاريخ الافادة من اساليب التمثيل الادبي المعاصر، ومثلما يتأرجح المؤرخ بين الماضي والحاضر، فهو يتأرجح كذلك بين الفن والعلم[٨] ويبدو ان هايدن وايت لم يكن مكتفياً بهذا التأرجح والبينية بين الادب والعلم ، بل ذهب الى صوغ نظرية في الخطاب التاريخي تعتمد على ما قدّمه ليفي شتراوس وياكوبسن ولاكان، والقول- علناً- ببلاغة الخطاب التاريخي في كتابة (Metahistory/ ماوراء التاريخ) ، حيثُ يعدّه خطاباً متعدّد المستويات الجمالية، واللغوية، والعلمية، فلابد من تحليل مجازاته واستعاراته[٩]، وهذه النظرية وجدت حضورا واهتماما عند بواز شوشان الذي يرى أنّ "البلاغة تعلب دوراً مهماً في سعي المؤرخ الى تحقيق أهداف معينة، ليس أقلها الاقناع"[١٠] شوشان الذي يعتمد الكثير من المقولات المؤمنة ببلاغة النصوص التاريخية وعدم الاكتفاء بالبحث عن واقعيتها، ومنها مقولة جي هكستر ((إنّ البلاغة ليست هي طبقة القشطة التي تغطي كيكة التاريخ، بل هي مخلوطة في عجينة تلك الكيكة))[١١] .

فالتاريخ ليس وصفاً أو مجالاً معرفياً واحداً، بل مجموعة احداث انتقل بعضها من الشفاهي إلى الكتابي ، وبعضها الاخر مكتوب ومدوّن في الاصل، سواء في تاريخ الاسلام أو العصور التي تلته، نقرأها بوصفها حكايات تعرض لنا الوقائع والاحداث، ونقترب منها لمعرفة مجريات الامور عبر معاينة سلسلة الاسناد أو فهم الرواية فهما تاريخيا، وفحص ما تقدّمه من توصيف لمرحلة زمنية اداريا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسياً أو جغرافيا، واحيانا تفرز الخطابات التاريخية ابعاداً عقائدية وتوجهات الفرق والمذاهب الاسلامية، لكنّنا بحاجة إلى فحص هذا الخطاب من داخله أو النظر له بوصفه حدثاً خطابيا على حد تعبير نورمان فيركلف، حيث يحمل هذا الحدث ثلاثة ابعاد هي

النص والممارسة الخطابية والممارسة الاجتماعية، فالنص يمثّل جزءا من الممارسات الخطابية من ناحية والممارسات الاجتماعية الأوسع من ناحية اخرى. كما يكشف عن اهمية الممارسات الخطابية ، بما فيها من عمليات انتاج الخطاب وتوزيعه واستهلاكه[١٢]. فالدخول إلى الخطاب وتحليله من اصغر عنصر فيه وصولا إلى حكايته التاريخية يجعلك امام تفاصيل قد تكون غامضة على قارئ التاريخ بشكله المعهود. ولذا نفترض القراءة البلاغية أي المعتمدة على تحليل الخطاب♦، عبر ضمّ الحدث الخطابي الواحد إلى مجموعة احداث اخرى لتشكّل بدورها منظومة خطابية تعطينا تصوراً عن الفعل وردّ الفعل وظهور شخصيات فاعلة قد أغفلها أو يغفلها المؤرخون والتاريخيون، لأنها تسربت بين السطور، أو كانت ضمن حكاية مضمّنة تحتاج إلى المعاينة، لأنها تكشف ما لم يجد حضوراً، فضلا عن ((أنّ الخطاب التاريخي يمثّل نوعا من الخطابات البلاغية التي تستهدف الاقناع أو التأثير أو كليهما، وان البعد البلاغي للخطاب التاريخي يتجاوز كونه تجميلا للغة إلى ان يكون مكونا بنائيا للخطاب التاريخي، من تصور يرى ان جوهر الخطاب يكمن في الطريقة التي يتشكّل بها))[١٣] فالوقوف عند بعض الاحداث المهمة في التاريخ يجعلنا في منطقة التعرّف على تفاصيل لغوية وعلامات لفظية وغير لفظية وخطباً ومراسلات تتضمن أفعالاً وأحداثاً خطابية مهمة للغاية ومن ذلك هجرة النبي (ص واله) إلى المدينة وما يرافق هذا الحدث المهم، حادثة السقيفة والنزاع الشرعي بين النص والاختيار من جهة، والنزاع القبلي بين الانصار والمهاجرين من جهة اخرى، وحركة الردة، وحادثة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان كما يرويه الطبري في تاريخه ففيها نصوص / اخبار، تُنقل ضمن خطاب حادثة مقتل الخليفة الثالث، اذ هناك سلسلة من المتواليات الحدثية توافقها سلسلة من المتواليات الخطابية تبدأ بعبد الله بن سبأ، ثم اختفاء عمار بن ياسر بعد ان ارسله عثمان إلى مصر، ثم بروز شخصية معاوية بن ابي سفيان، كذلك حادثة معركة صفين أو معركة الجمل ووجود معسكرين قدّما الكثير من الحجج والمناظرات، فهذا الخطاب التاريخي يسمح بالدخول إلى انتقالاته ومعاينتها عبر كتب التاريخ الأخرى.

الاضاءة الثانية

تتأسس هذه الاضاءة على تقديم فرضة أخرى بعد فرضية القول بخطابية التاريخ وامكانيته البلاغية، وفرضيتنا الثانية تقوم على فهم نهج البلاغة خطاب علي (ع) بوصفه خطاباً تاريخياً، فإذا تمكّنا من البرهنة على وصف كتاب(النهج) بانه خطاب تاريخي، فلا شك من وصف العهد بالصفة ذاتها (خطاب تاريخي)، فما هي صفات الخطاب كي يكون تاريخيا ؟ فقلنا في الاضاءة الاولى : إنّ للتاريخ وصفاً ومهمة وصوراً، فهل يتمتع (نهج البلاغة) بما للتاريخ من ميزات أو خصائص؟ وهو مجموعة الروائع العلوية التي قال عنها الفيلسوف المصري زكي نجيب محمود: ((فقلب معي الصفحات الرائعة الادبية من نهج البلاغة" وقل لي اين ينتهي الاديب ليبدأ الفيلسوف؟ واين ينتهي الفيلسوف ليبدا الفارس؟ واين ينتهي هذا ليبدأ السياسي ؟ أنه لا فواصل ولا فوارق، ففي هذه المختارات خطب ورسائل واحكام، وحجاج وشاهد امتزج فيها الادب بالحكمة، والحكمة بالأريحية وهاتان ما نسميه اليوم سياسة يسوس بها الحاكم شعبه، أو يداور بها الحاكم خصمه))[١٤].

اذا كان التاريخ معرفة بحسب توصيف سقراط له[١٥] ، فلاشك أنّ المعرفة صورة نهج البلاغة، فهناك خطبة التوحيد هي نظرية في المعرفة، وخطبته عليه السلام في عجيب صنعة الكون وغيرها من الخطب والكلام والكتب، واذا كانت ثمّة علاقة – كما يرى بول ريكور – بين التاريخ والحياة، واسقاطها على التاريخ بوصفه جزءا من الحياة[١٦] فقد كانت حياة الفرد/ علي بن ابي طالب، وحياة المجتمع/ المجتمع الاسلامي متغلغلة ومندمجة في خطاب النهج، واذا كنّا نبحث عن فهم الاحداث التاريخية وتسجيلها واحتضان الوثائق وتشكيل السير والمغازي، فـ(نهج البلاغة) يمثّل تأريخ امة وشاهد على تاريخها وتفاصيله، ففيه ذكر الحروب، والغزوات، ومراحل الحكم بعد الرسول(ص واله) وكذلك بيان الولايات وأمراءها، ومناهج العقائد وطرق التفكير عند العرب آنذاك، فبعد هذا الالتصاق ألآ يمكن أن نضمّ (نهج البلاغة) إلى كتب التأريخ؟ قد يقول قائل كتب التاريخ تعتمد الخبر أو السند، وخطاب النهج لا يعتمدهما.

إنّ التاريخ ليس حكاية وسردا فحسب، بل هو التنصت في المدونات والنبش فيها، فإذا كان التاريخ حكاية فلاشك أنّ الخبر اصغر وحدة حكائية[١٧] أي أنّه لا يمثّل التاريخ كله أو يعطي

صورة متكاملة عن التاريخ، فهناك الوثائق والسجلات والتعابير الشفاهية والمكتوبة، ونهج البلاغة هو تاريخ بطريقة الابداع ، أو فرض الانواع الكتابية على التاريخ، لانّ الخطاب بكل اشكاله الوثائقية والخبرية والسجلات والوصايا والنصوص الشعرية والعهود هو حاملٌ لمحمول تاريخي.

والعودة إلى المدونة التاريخية الاسلامية تجعلنا امام قاسم مشترك بين المؤرخين كافة، وهو النظر إلى التاريخ بوصفه حدثاً، لكنّهم اختلفوا في اعتماد المؤرخ / الناظر إلى الصورة المخيّلة في بناء التاريخ فهناك ثلاثة مجالات كما يقول رضوان السيد هي مجال الحدث ومجال الصورة ومجال اللحظة الناظرة[١٨] ، وعلى اساسها نجد صراعاً مفهومياً ينتج ثلاثة تيارات هما:- تيار التاريخيين وتيار المؤرخين، وتيار الوسط بينهما، فالمؤرخ هو المنشغل بالحوادث التاريخية وتحليل هذه الحوادث ونقدها، اما التاريخي فهو المنتمي إلى فن التدوين بفعل انشغاله بسرد الاحداث وترتيبها وتصنيفها وتبويبها. وتيار الوسط هو الجامع بينهما، ولم يكن الإمام (ع) منتميا إلى هذه التصنيفات، فكل مؤرخ له رغبة الدخول في هذا التقسيم، وعليٌّ(ع) كان يفكر في الامة لا بوصفه مؤرخا – بحسب تصنيف الدارسين- لأنه لم يكن منشغلا بتحليل الحدث، بل منشغلا بكشفه وتعرية شخوصه وبيان مهامهم ووظائفهم في صناعة الحدث، ولم يكن تاريخيا، يمتهن التاريخ عبر الانشغال بتدوين الاحداث وترتيبها، بل كان جزءا من تدوين الحدث وشاهدا على تفاصيله، ليكون راوياً ومؤلفاً وبطلا له[١٩]، بل كان يقدّم صورة الواقع كما هي، بعيدا عن الاختلاقات والاعتماد على السند مصدرا لتوثيق الواقعة، لأنه شاهد – كما قلنا – عليها منتجٌ لها، مثلما هو الصورة العاكسة لتحديات السيرة المحمدية، والثقل الثاني الذي يحفظ لنا تلك السيرة. فمجال الحدث متجسد في خطاب النهج، لان النهج يعبر عن تمثّل الاحداث التاريخية والمواقف عبر الحدث الخطابي، اما اللحظة الناظرة، فلا يمكن اغفالها ونحن نتحدث عن مدونة انتجها من يصفه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأنّه باب مدينة العلم، فلا يمكن ان الرؤية تنبعث من الخطاب كله.

موقع عهد الإمام (ع) إلى الأشتر من التاريخ

يسجّل هذا العهد مرحلة مهمة في تاريخ الإسلام بشكل عام وخلافة علي (عليه السلام) بشكل خاص، فلو نظرنا له بوصفه حدثاً خطابياً ينقل لنا احداثا تاريخية، فهو يقع بين حادثتين مهمتين

في خلافة الإمام علي (ع) تسجلان هذه اللحظة التاريخية ، حيثُ سُبق هذا العهد بعهد آخر لا يقلّ أهمية كتبه الإمام إلى واليه على مصر محمد بن ابي بكر سنة ٣٦ للهجرة، ولمّا كان معاوية يبحث عن ولاية مصر ليكون عمرو بن العاص واليا عليها، ارسل الإمام عليٌّ(عيه السلام) الأشتر ومعه العهد المشهور الذي نحن بصدده، وقد مات الأشتر مسموما بفعل معاوية قبل وصوله مصر، وثمة كتاب من الإمام إلى محمد بن ابي بكر، لمّا بلغه ان محمداً متكدّر لعزله وتولية الأشتر بدلا عنه، على الرغم من ان الاخير (الأشتر) توفيَ قبل الوصول، وقد بيّن الإمام في ذلك الكتاب اسباب عزل محمد حيث يخاطبه بقوله: ((أمّا بعد فقد بلغني مُوجِدتُك من تسريح الاشتر الى عملك، وإنّي لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ، ولا ازديادا في الجد،...، ان الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا رجلاً ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً، فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه))[٢٠] فثمّة حوادث تاريخية تؤشرها كتب الإمام وعهوده إلى ولاته على الامصار، وهذه المساحة التوثيقية تسمح أنْ نعدّ نهج البلاغة خطابا تاريخيا فضلا عمّا ذكُر فيه من ملاحم، ومعارك، واحداث تاريخية صريحة، قد سجّلها الإمام بأسلوب ابداعي أو ضمن تشكّل الانواع الادبية، ولم تُكتب بطريقة المؤرخين، اذ اختار الإمام علي (ع) ان يدّون اللحظات التاريخية، لكنّه بطريقته التي يحفظ بها ذلك التاريخ ويوثق الحدث التاريخي، وهذا ينعكس على عهد الإمام إلى الأشتر بوصفه وثيقة تاريخية، كما يقدّم خطاباً تاريخياً مختلفاً من حيث حضوره موثقاً ومؤرخاً وبطلاً للحدث التاريخي في آن واحد.

الاضاءة الثالثة: توسيع دائرة الدرس البلاغي

هذه الفرضية هي نتاج الفرضية التي سبقتها، من قبول التعاطي مع مباني الدرس البلاغي في قراءة خطاب التاريخ، أو كما يرى هايدن وايت ان الخطاب التاريخي هو خطاب متعدد المستويات ومنها المستوى البلاغي، فنحن امام فرضية المحاولة للخروج بالبلاغة من معاينة خطابات غير مركزية اعتدنا على قراءتها من مثل "القران أو الشعر العربي وكذلك بعض النصوص النثرية" اذ بدأت مرحلة الانتقال بهذا العلم إلى قراءة خطابات مؤثرة في المجتمع أو الحياة اليومية وكما يقول مصطفى ناصف : ((إننا اكثر اهتماما بنظم

الخطاب الادبي، ومهما تكن القيمة الفعلية لهذا الخطاب فلا شيء يسوغ اهمال نشاط اللغة في مجالات اخرى متداخلة))[٢١] اذ بدأت حركة قراءة الخطاب السياسي أو الاعلامي أو الاشهاري ، وهي مرحلة – تبدو لنا – اقرب في الانتقال من دائرة الذاكرة الجمالية التي اعتدنا على مراعاتها بفحص نصوصها، إلى الحاجة المجتمعية أو الاستعمال الثقافي، فثمة طقوس، وعبادات، وشعائر، ورموز، وخطابات جماهيرية تستحق المعاينة البلاغية تحت مسمى (تحليل الخطاب) وكأنّه الوجه الجديد لتوسيع دائرة الفهم البلاغي أو علم البلاغة؛ والخلاص به من نسقيّة وسلطوية السكاكي وشرّاح مشروعه وملخصيه[٢٢] فجاءت هذه الدراسة لتختار الخطاب التاريخي بوصفه خطابا يحاصر الامة ويمثّل إرثاً مهما في ذخيرتها، وهو كان وما يزال قريبا من الحياة اليومية للمواطن العربي، ولذا عملية الاكتفاء بقراءة المؤرخ أو المشتغل بحقل التاريخ قد تترك الكثير الذي بالإمكان معاينته عبر تحليل الخطاب بلاغيا؛ وهذا ما تنشغل به هذه الدراسة.

عهد الإمام إلى مالك الأشتر (مقترح قراءة)

لم تكن هذه الدراسة تختار لنفسها ان تكون فاحصة لنص الوثيقة لفهم الحقائق أو القول بصدقها، بل التركيز كله ينصبُّ على النص الذي تغذيه تلك الوقائع، وسنعمل على فهم بلاغة الوثيقة التاريخية ضمن دائرة المنظومة الخطابية التي يقدّمها فاعلٌ خطابيٌّ واحدٌ داخلَ الواقعة اللسانية هو الإمام علي (ع) إلى متلقٍ خطابي متعدّد "محمد بن ابي بكر، مالك الأشتر، اهل مصر" أمّا اذا نظرنا إلى الخطاب من حيث علاقته بالحادثة التاريخية/ الخطابية فأن الفاعل هو مختلف المشاركين القائمين بعمل سواء كان ايجابياً أم سلبياً[٢٣]، أي: أنّ الفاعل " كل من يمارس دورا في عملية انتاج الخطاب والقائه وتداوله والتأثر به"[٢٤] أي سنكون مع مجموعة مع الفواعل الخطابية "الإمام علي، محمد بن ابي بكر، مالك الأشتر، واهل مصر، وكذلك معاوية وعمرو بن العاص" وكذلك مع دائرة الخطابات المتجاورة زمنيا أي محاولة ربط الخطابات" المواثيق والعهود والكتب والمراسلات

" المنتجَة في مرحلة زمنية واحدة في دائرة خطابية واحدة وهي بالشكل الاتي :-

١-عهد الإمام علي إلى محمد بن ابي بكر حين قلده مصر.
٢- كتاب الإمام إلى محمد بن ابي بكر، لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر.
٣-كتاب الإمام إلى اهل مصر لما ولى عليهم الأشتر.
٤-عهد الإمام للاشتر لما ولاه على مصر واعمالها.

فهذه اربعة خطابات تعطينا تصورا عن عهد الإمام إلى الأشتر ضمن منظومة خطابية، وتعدّدها يكشف حركة التاريخ، أو الفعل داخل الحدث التاريخي. فثمّة علاقة لا يمكن تجاوزها بين الحدث الخطابي والمواقف أو المؤسسات والهياكل الاجتماعية التي تُعدُّ إطارا له[٢٥] ونحن امام اربع مواقف تاريخية يشكّلها الخطاب، وانتظمت لتكون منظومة مواقف تشكلها منظومة خطابية. فلابد من تسمية الفواعل الخطابية وتحديد سلطتها، والظروف الطارئة عليها التي تسهم في انتاج هذه المنظومة الخطابية، ومن ثمّ تفاعل هذه التحديدات في انتاج عهد الإمام إلى الأشتر لان التفاعل يظهر وجود قاعدة انتاج واستهلاك للخطاب مما يعني بلاغته. فهو حدث تاريخي يشكّله حدث خطابي، وقراءته ضمن منظومة احداث خطابية، يكشف عن تحولات المواقف التاريخية وتشكّلها.

العهد بين المتكلم التاريخي والمتكلم الخطابي

كُتب خطاب العهد سنة ٣٧ هـ، وأُنتِجَ ضمن سياقات معينة، تختلف طبيعته التاريخية بأنّه له مرسلا ومتقبلاً، أي: لم يكن الانشاء – تاريخيا – مجهولا أو مرتبطا بسارد أو مؤلف مجهول، بل هو مرتبط بمؤلف معلوم تاريخيا هو علي بن ابي طالب (عليه السلام) ومتقبل معلوم ومحدد هو (مالك الاشتر النخعي) وله سياقات معينة تفرض وجود حركة معارضة يقودها معاوية بن ابي سفيان الذي خرج مطالباً بدم الخليفة الثالث عثمان (رض) ، وعينه ترنو للسيطرة على مصر والرغبة في ان يكون عمرو بن العاص واليا عليها، حيث كان محمد بن ابي بكر هو عامل الإمام عليٍّ عليها، وقد تحققت المطالبة بدم عثمان ((فأجابه اناس كثيرون آخرون، وفسدت مصر على محمد بن ابي بكر، فبلغ علياً

توثبهم فقال، ما لمصر الا احد الرجلين، صاحبنا الذي عزلناه عنها بالأمس يعني قيس بن سعد أو مالك بن الحارث الأشتر))[٢٦]؛ فالمتكلم التاريخي- هنا- هو متكلم خارج نصّي، يتفاعل مع السياقات الخارجية ، وقد ينقل هذا التفاعل إلى واقعة لسانية؛ يجسّد من خلالها حضوره النصي عبر الانتقال إلى دور المتكلم الخطابي. وهنا يبدأ سؤال مفترض، أ كان الامام عليٌّ مؤرخاً أم جزءا من منظومة خطاب التاريخ ؟ اذا كان همُّ المؤرخ ان ينقل الوقائع الى القارئ، فيبدو أنّ هذا الامر ينطبق تماماً على نص النهج بأحداثه التاريخية ومن ضمنها الوثائق والعهود، اذ لم يكن هذا العهد او غيره من الكتابات في النهج هو لأجل خلق حالة فنية لغرض التسلية وبيان القدرة الابداعية او الكلامية أو المعرفية في الكتابة مثلما نجد ذلك في النصوص النثرية عند الجاحظ او التوحيدي او عبد الحميد الكاتب، بل هو ينقل معلومة تاريخية ويسجلها عبر شكل كتابي مختلف عن الطريقة الخبرية المعتادة في بناء خطاب التاريخ، فضلا عن أن المؤرخ – مجازاً، (ناقل الاحداث/ الامام علي) هو جزءٌ رئيس في الحدث التاريخي، بمعنى انه يمارس دورين ، الدور الاول تصميم الشكل الفني للحدث التاريخي، والثاني الاسهام بوصفه الشخصية الرئيسة في بناء الحدث، وهنا سنجد انفسنا امام مصطلح جديد هو المتكلم الخطابي.

والمراد منه هو من يسهم في تثبيت الحدث التاريخي ويجسد مواقف المتكلم التاريخي من الاحداث والمتلقين، ثم ان هذا المتكلم/ الخطابي يختلف عن الفاعل الخطابي الذي مرّ ذكره، حيث ان المتكلم الخطابي واحد لكنّ الفاعل الخطابي قد يكون متعددا ليشمل المعنيين والقائمين على الخطاب سلبا أو ايجابا. فالمتكلم الخطابي – هنا- هو متكلم نصي يمارس الحضور اللغوي أو البلاغي، عبر صيغ انشائية أو خبرية واستشهادات وعمليات من التضفير الخطابي تمنح الخطاب قوته وسلطته البلاغية.

فقد بدأ الإمام عهده إلى الأشتر بأسلوب التجريد "هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين مالكَ بن الأشتر في عهده اليه حين ولاه مصر" وقوله ((أمره بتقوى الله وايثار طاعته" "وامره ان يكسر نفسه من الشهوات))[٢٧] وهذه معالجة لقضية ترتبط بالطاعة لله وليست دنيوية وهذا ما اعتدنا عليه في خطابات الإمام حينما يقف عند هكذا قضايا حيث

يقول في حديثه مع العباس وابي سفيان عندما قُبِضَ رسولُ الله (صلى الله عليه واله): "والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه"[٢٨].

ثم يلتفت بالخطاب الدنيوي مع الأشتر، ليظهر المتكلم الخطابي ((ثم اعلم يا مالك **أنّي قد وجهتك** إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور))[٢٩] فالخطاب السياسي المتضمن في الخطاب التاريخي يسمح بظهور بوجود ذاتية المتلفظ، فمرة مع الفعل (أعلم) وهو فعل الامر الذي يستوجب ظاهرية المخَاطَب/ انت (مالك) وضمنية الفاعل/ المرسل/ الإمام علي، وهو فعل ينقل المخاطَب من عدم المعرفة إلى التلقين، وبعد هذه الجملة الانشاء الأمرية؛ تأتي جملة الخبر الطلبية (أنّي قد وجّهتك) فثمّة ضرورات سياسية تقتضي مثل هذا الحضور، وهو بالأسلوب نفسه الذي وجّه به الإمام خطابه إلى محمد بن ابي بكر حين قلّده مصر ((واعلم يا محمد بن ابي بكر **اني قد ولّيتك** اعظم اجنادي في نفسي أهلَ مصر))[٣٠] ، وهناك فارق بين (التوجيه ، والتولية) فالتوجيه بمعنى جعل الشيء على جهة، أو اقبل بوجهه على الاخر[٣١] أي أنّ ثمة أمراً يدفعه إلى التوجيه، وخطابه (ع) يكشف تحديد الجهة التي يريدها وهي (بلاد قد جرت عليها دول قبلك)، حيثُ كان هذا التوجيه مسبوقاً بدروس تربوية تمثّل ادارة الدولة أي كأنها مقدمة لما يريد الإمام طرحه في التوجيه إلى البلاد التي درات عليها الاحوال والغلبة، أمّا التولية، فهي نتاج مرحلة لم تمتثل للسياقات التي امتثل لها خطاب الإمام إلى الأشتر.

ويبدو ان هيمنة الخطاب السياسي الذي يشكّل ثيمةً مهمةً في خطاب الإمام (عليه السلام) التاريخي جعل كتابه إلى محمد بن ابي بكر حين عزله وعيّن الأشتر يتّصف بهيمنة ذاتية المتكلّم الخطابي ((فقد **بلغني** موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، **واني لم افعل** ذلك،...، **ولو نزعتُ** ما تحت يدك،...، **لولّيتك** ما هو أيسر، إنّ الرجل الذي **كنتُ قد ولّيته** على امر مصر)) فطغيان التعبير الذاتي عبر ضمائر المتكلم هي من ضرورات انتاج خطاب سلطة يحتمي بذاتية المتكلم وتحقيق الاندماج بين المتكلم التاريخي والمتكلم

الخطابي/ النصي، كما يفرض وظيفة الاقناع التي تستوجب وجود مرسِل مشخّص قادر على اقناع الاخر المرسل اليه الذي تأثر أو يذعن للخطاب.

وكذلك في كتابه إلى اهل مصر؛ لمّا ولّى عليهم الأشتر يخطابهم بذاتيته الاندماجية بين التاريخية والخطابية: ((أما بعد، فقد **بعثتُ** أليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع،...، فأنّه لا يقدم،...، ولا يقدّم الا عن **أمري**، وقد **آثرتـكم** به على **نفسي**))[٣٢] هذا الخطاب فيه بروز صورتين، **الأولى** ما تعنينا في هذا المحور وهي حضور (ذات المتكلم) **والثانية** هي صورة الأشتر عبر تراكيب كنائية يرسمها الإمام عنه فيصفه بانه (لا ينام أيام الخوف) كناية عن ترقبه للحرب وهمته العالية، والبقاء منشغل التفكير طوال الليل بتدبير امور المعركة ومستلزماتها، حيث الليل منطقة سكون البدن، وانشغال الذهن للمحاربين فيما سيأتي، والكناية الثانية هي مستلزمة للكناية الأولى حيث يصف مرحلة ما بعد التخطيط والتدبير والدخول في المعركة، فالأشتر في وصف الإمام شديد البأس، لا ينكص أو يجبن ساعة المعركة. وهذا اسقاط التاريخي على الخطابي.

انشاء الهوية بين الإمام والأشتر

يملك الخطاب– بوصفه مكوِّناً اجتماعياً– القدرةَ على تشكيل الهويات والمواقف بين الافراد والجماعات[٣٣] كما تتباين الاساليب التي تعبّر عن هوية الفرد أو الاندماج مع الجماعة، فخطاب الإمام إلى الأشتر يبدأ بهوية الفرد/ الحاكم الملقب(أمير المؤمنين) "هذا ما امر به عبد الله عليٌّ أمير المؤمنين مالكَ بن الحارث الأشتر، في عهده اليه حين ولّاه مصرَ: جباة خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح اهلها، وعمارة بلادها" فالمرسلة الخطابية تعلن في الاستهلال هويةَ المُرسِل الصريحة باللقب(عليٌّ امير المؤمنين) والمرسل اليه (مالك بن الحارث الأشتر) وقناة الارسال (في عهده اليه) كذلك المناسبة/ السياق (حين ولّاه امر مصر).

ثمّ تبدأ الأوامر والنواهي، بحضور المرسل اليه هوية مضمّنة داخل الخطاب، وغياب هوية المتكلّم، على الرغم من ان التراكيب الأمرية تتشكّل عبر الآمر والناهي وموجّه إلى مخاطَب مأمور ومنهي، مع تعدّد في الدلالات، وتكتسب في عهد الإمام دلالات حجاجية، حين يكون اصل الدلالة في الخطاب حجّته، اي أثبات الحق بوصفه هوية المتكلم. يخطاب الإمام الأشتر ((أشعر قلبك الرحمة للرعية،...، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا)) هذه الأقوال هي مقدمات ومزودة بعلاقة تراتيبية لتشكّل سلّماً حجاجيا لنتيجة تشكّل خطاب موقف الفرد/ السلطة، من الجماعة/ المحكوم ((فإنّهم صنفان إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في الخلق))[٣٤] فهذا مؤشّر على علاقة الفرد بالتعدد المجتمعي وبناء دولة تؤمن بتعدد الهوية الفرعية. ويعطينا تصورا عن فهم الإمام لمعطيات القران، حيث ان الاخ من المشاركة في الولادة والقوم والدين، قال تعالى ﴿انّما المؤمنون اخوة﴾ وفهم الإمام للدور الرسالي، حيث شرّع النبيُّ الاكرم نظام المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ممن قَبلَ بالدين المحمدي. أمّا الشق الاخر فهو النظير وهو الشبيه الذي يمتلك منظومة اخلاقية في دينه، مشابهة لمنظومة الاسلام في الاخلاق.

وتبرز هوية الإمام (ع) بصيغة المتكلم الجمع حين تحدّث عن طبقات المجتمع وحقوقها، وكيفية تشريعها والمحافظة على هذه الحقوق ((وكلا قد سمّى الله سهمه، ووضع على حدّه فريضته في كتابه، أو سنّة نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم، عهدا منه **عندنا** محفوظاً))[٣٥] فهو انتقالٌ من سياق الحاضر/ الحاكمية التي فيها الإمام وما يناسبها من ضمير المتكلم (انا) إلى سياق الاستمرار/ الولاية التي تبدأ بالإمام (نحن). لكنّ حضور هوية الفرد/ الإمام تتمظهر عند استحضار الحديث النبوي الشريف(فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول في غير موطن) كما تبرز هذه الهوية عند مراحل انتهاء فقرات العهد ((وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدتُ اليك في عهدي هذا واستوثقتُ من الحجة لنفسي عليك))[٣٦] ليمنحنا النتيجة عبر اقوال/ حجج في اعلان النتيجة التي يبحث عنها الإمام في خطاب تاريخي وظيفته النصح والارشاد اي الوظيفة التأديبية (لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها) ثم يعلن هوية الاندماج والمشاركة في العمل الصالح والتوفيق مع مالك

الأشتر ((وانا اسال الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة، ان **يوفقني وإياك**،...، وان يختم **لي ولك** بالسعادة والشهادة ، **وإنّا اليه راغبون**)).

أمّا في كتابه إلى محمد بن ابي بكر لما بلغه توجده من عزله، فإنّ خطابه الذي يسجّل مرحلة تاريخية مهمة في عهد حكومة الإمام (عليه السلام) يغلب عليه الاعلان عن هوية الإمام وبصيغة المتكلم ((فقد **بلغني** موجدتك،...، و**اني** لم **أفعلُ** ذلك استبطاء،...، ولو **نزعتُ** ما تحت يدك من سلطانك، **لولّيتُك** ما هو ايسر عليك،...، ان الرجل الذي **ولّيتُه** أمر مصر)) ثم يذهب إلى هوية الاندماج والأشتراك مع محمد بن ابي بكر ((كان **لنا** رجلا ناصحا، وعلى **عدونا** شديدا ناقما)) اذ لم يقل (هو لي رجل، وعلى عدوي شديد) اذ يعمد الإمام إلى انشاء هوية الاندماج مع ولاته عبر خطاب تاريخي وظيفته الاقناع، ثمّ يسجل في هذا الكتاب لحظة تاريخية تمثّل مرحلة استشهاد الأشتر ((فرحمه الله فلقد استكمل ايامه، ولاقى حمامه، **ونحن عنه راضون**)) فالخاتمة متماثلة مع خاتمة الإمام في عهده إلى الأشتر في الاندماج حين قال (وإنا اليه راغبون).

المنظومة الخطابية من الاخبارية إلى الانشائية

ان مجمل الكتب أو الوثائق أو العهود المندرجة فيما اقترحناه (منظومة خطابية) تتوزع بين الاخبار والانشاء على وفق السياقات التي انتجت فيها، ففي عهد الإمام إلى محمد بن ابي بكر حين قلّده ولاية مصر يبدأ بجمل انشائية / امرية ((اخفض لهم جناحك، وألنْ لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة))[٣٧] وهي الجمل مبنية بناء استعاريا مكنيا تؤدي من خلاله وظيفة النصح والارشاد، وتمثّل حججا متدرجة تخدم نتيجة واحدة مذكورة في خطاب الإمام وتؤدي اليها، فهي تسير في اتجاه واحد لا باتجاه التعارض الحجاجي الذي ينشط مع " لكن"[٣٨] ، ثمّ يأتي برابط حجاجي(حتى) فيقول (حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم) وهو ربط للحجة القوية أو التي ينتهي بها السلم الحجاجي، لينتهي بالحجة الظاهرة ((فإنّ الله تعالى يسألكم معشر عباده – عن الصغيرة

من اعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة))[٣٩] وعندما ينتقل الكلام إلى الخبرية يبقى يدور في الدائرة نفسها النصح والارشاد المؤدّي إلى الحجاج.

وهذا العهد لا يختلف عن عهد الإمام إلى الأشتر الذي يبدأ بفعل التواصل والمشاركة في بناء الحدث التاريخي (ثم اعلم يا مالك) فالامر لا يستهدف الالزام الامري، بقدر استهداف تنبيه المتلقي ((أني قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم)) خضع خطابُ الإمام إلى فرض التجربة التاريخية على مالك، عبر اعطاء تصوّر عن البلاد الموفد اليها. ثم تبدأ مجموعة من الأقوال الانشائية، التي تخدم الوظيفة الاقناعية لا الخبرية أو الأمرية، كما ان ثمّة التفاتة إلى وضعية الجماهير في الحدث السياسي، اذ يكتب الإمام إلى الأشتر: ((فإنّ سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإنّ سخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة))[٤٠] فالعامة هم الجماهير القادرة على فعل التضحية ((تشبه إلى حدٍّ ما حالة النائم الذي يتعطّل عقله مؤقتاً ويترك نفسه عرضة لانبثاق صورة قوية ومكثفة جدا،...، ولما كانت الجماهير غير قادر على التفكير ولا على المحاكمة العقلية فانها لا تعرف معنى المستحيل أو المستبعد الحدوث))[٤١] فهناك معادلة يطرحها الإمام تمثّل واقعا سياسيا واجتماعيا يفرض مثل هكذا خطاب، هذه المعادلة بين الخاصة والعامة، اي بين (النخبة والجمهور) وبين حالتي (المغفرة والسخط) لينتهي إلى نتيجة محدّدة الامكانات الحجاجية ومقيّدة بالحصر العامل الحجاجي ((انما عماد الدين، وجماع المسلمين والعدّة من الاعداء العامة من الامة" وعلى وفق هذه النتيجة تبدأ مشورة الإمام الأمرية "فليكن صفوك لهم وميلك معهم)).

أمّا في **خطاب الإمام إلى اهل مصر** وعبر هذا التسلسل التاريخي للمنظومة الخطابية، نجد كتاب الإمام يبدأ بجمل خبرية بعضها تؤدي وظيفة الوصف عن اهل مصر ((إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي...)) ثم جمل خبرية في وصف واليه الجديد (مالك الأشتر) ((أمّا بعد: فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف، ولا ينكل عن الاعداء

ساعات الروع، اشد على الفجار من حريق النار، وهو (مالك بن الحارث) اخو مذحج)) وهذه الجمل تشتغل على وفق تسلسل منطقي للحدث والتمهيد للانتقال إلى الأقوال الانشائية ((فاسمعوا له، واطيعوا أمره في ما طابق الحق، فإنّه سيف من سيوف الله،...، فإنْ امركم ان تنفروا فانفروا ، وإنْ امركم ان تقيموا فأقيموا))[٤٢] لماذا هذه الطاعة التي يفرضها الإمام على اهل مصر؟ لان الإمام يجيبنا عن مالك الأشتر بأنّه (لا يقدم الا عن امري).

أمّا عن خطاب الإمام إلى محمد بن ابي بكر حين عزله، فالجملة الخبرية لا تستهدف الاخبار، بل تستهدف تحقيق وظيفة التسويغ أو الاقناع بقبول العزل " فإنّي لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد، ولا ازديادا لك في الجد" ثم ينتقل بعد انتهاء هذه الوظيفة إلى ملاحقة السياق الجديد الذي على محمد بن ابي بكر ان يتخذه عبر جمل انشائية بين الفعل الدنيوي والفعل الاخروي ((فاصحر لعدوك، وامض على بصيرتك، وشمّر لحرب من حاربك، وادع إلى سبيل ربك، واكثر الاستعانة بالله يكفيك ما أهمك))[٤٣].

العهد بين خطاب النهج وكتب التاريخ

لا يمكن ان نقرأ الحدث التاريخي في خطاب العهد إن لم تكن المنظومة الخطابية حاضرة♦، وهي المسؤولة عن اعطاء تصور وافٍ عن التسلسل الزمني لبناء الاحداث، فهناك كتابٌ موجّهٌ الى محمد بن ابي بكر سنة ٣٦ هـ وآخر موجّه اليه بعد مقتل الاشتر سنة ٣٨هـ ، وكتاب العهد أواخر سنة ٣٧هـ وبينهما كتاب موجّه الى اهل مصر عندما ارسل اليهم الاشتر سنة ٣٧ هـ. فهناك احداث تعبّر عنها كتب الامام في خطاب النهج، واحداث قد تختلف معها في مدونات التاريخ مثل الطبري والمسعودي، وبسبب غياب تراتيبية الكتب والعهود في مدونة الطبري نجد خلخلة في البنية الزمنية للحدث ، اذ يقول الطبري: ((فكتب قيس♦♦ الى علي: إن كنتَ تتهمني فاعزلني عن عملك، وابعث اليه غيري، فبعث عليٌّ الاشتر أميراً الى مصر، حتى اذا صار بالقلزم شرب شربة العسل كان فيها حتفه،...، فلمّا بلغ علياً وفاة الاشتر بالقلزم بعث محمد بن ابي بكر أميراً على

مصر))[٤٤] فهناك أربعة أحداث في هذا المقطع التاريخي المنقول من تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) وهي بالشكل الاتي وحسب تسلسلها الزمني الوارد في التاريخ.

الحدث الاول طلب قيس بن سعد عزله عن أمارة مصر.

الحدث الثاني: ارسال مالك الاشتر أميراً الى مصر.

الحدث الثالث: وفاة الاشتر بالقلزم مسموماً بالعسل.

الحدث الرابع: ارسال محمد بن ابي بكر أميراً على مصر.

فلو عرضت هذه الاحداث على نهج البلاغة، فكيف سيقدّمها النهج تاريخياً؟ يبدو أن الكتب والعهود في النهج تعمل على خلق صورة زمنية سردية يمكن من خلالها كشف (بنية تراتب) تلك البنية التي تختلف عن البنية التاريخية التي يقدّمها الطبري، وتتفق مع المسعودي وهو يرسم صورة الاشتر مقاتلاً في حرب صفين سنة ٣٧هـ أي لم يكن اميراً على مصر كما ذكر الطبري. وكذلك قيس بن سعد بن عبادة وهو يقود الانصار وربيعة في الحرب نفسها ، وهذا يدلُّ على ان محمد بن ابي بكر كان هو الوالي على مصر، وقد قُتل فيها سنة ٣٨ للهجرة.[٤٥] ثم يذكر المسعودي ((وولّى عليٌّ الاشترَ مصرَ وانفذه إليها في جيش، فلمّا بلغ ذلك معاوية دسَّ الى دهقان كان بالعريش، فأرغبه، وقال: أترك خراجك عشرين سنة، واحتل للاشتر بالسم في طعامه،...، فما استقرت في جوفه حتى تلف))[٤٦] كما أنّ دليلَ المخالفة والاتفاق التاريخيين بين الطبري والمسعودي من جهة ونهج البلاغة من جهة أخرى قولُ الامام في مخاطبة محمد بن ابي بكر ((أما بعد : فقد بلغني من تسريح الاشتر الى عملك ، واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد))[٤٧].

وقد يعطيك كلام الامام في ضوء المنظومة الخطابية تصورات تاريخية قد تغفل عنها كتب التاريخ، من كلامه (ع) بعد مقتل محمد بن ابي بكر يقول: ((وقد أردت تولية هاشم بن عتبة، ولو وليته لما خلى لهم العرصة، ولا انهزهم الفرصة، بلا ذم لمحمد بن ابي بكر، ولقد كانت الي حبيبا))[٤٨] كلام الامام فيه تحسّرٌ لأمرين ، أحدهما يكشف لك قضية

تاريخية مضمرة لم تعبّر عنها كتب التاريخ المعروفة وهي رغبة الامام في منح ولاية مصر لهاشم بن عتبة بن ابي وقاص الذي استشهد في معركة صفين، الامر الاخر تحسّره على فقد محمد بن ابي بكر، ولم يشر كلام الامام الى مالك الاشتر، وهذا دليلٌ آخر على مقتل الاشتر قبل مقتل ابن ابي بكر.

قراءة ختامية

- البرهنة على قراءة الخطاب التاريخي قراءة بلاغية يتطلب منّا تعديل المواقف والرؤى والمتبنيات تجاه التاريخ أولا، وتجاه البلاغة ثانياً، فمع التاريخ نفترض التحوّل من سردية التاريخ والبحث عن واقعية احداثه، الى خطابيته وتسلسله النسقي، ومن ثمّ تحليل تقنيات التاريخ بوصفه خطاباً. أمّا مع البلاغة، فقد كشفت رحلة هذه الدراسة عن ضرورة انفتاح الدرس البلاغي العربي والخروج من نسقية السكاكي وتقسيمه الثلاثي، والايمان بضرورة تحرير المفهوم والاداة والوظيفة ، والانتقال بالدرس البلاغي من التقسيمات الجاهزة الى ما يفرضه الخطاب المدروس، فالخطاب التاريخي له من الخصائص والميزات ما تجعلنا نبحث له عن ادوات إجرائية قد تكون مختلفة عمّا نحلّله – من خلالها– من خطابات سياسية أو اجتماعية أو دينية، فلكل خطاب ميزات تفرض دراسته أدواتٍ اجرائيةً مختلفةً عن غيرها، فضلاً عن ضرورة استحداث مفاهيم بلاغية تتناسب مع طبيعة الخطابات المدروسة، حتى وإن كان على سبيل التبيئة أي نقلها من بيئة معرفية الى بيئة معرفية أخرى، أو توسيع اشتغال المصطلح من المفردة والجملة الى الخطاب، إذْ لم تعد بعض المصطلحات قادرة على المساهمة في تحليل أحد الخطابات، ولذا لا بد من اقتراح حزمة اصطلاحية جديدة تسهم في ذلك التحليل مثل اقتراح مصطلح الفاعل الخطابي ليكون ((مساهماً في انجاز العملية البلاغية وهو شكل من اشكال توسيع دائرة الاهتمام بالمتكلم التي أخذت مساحة جيدة في البلاغة العربية، حيثُ تُقرأ مسؤولية الخطاب والظاهرة البلاغية بصورة أكثر تفاعلاً))[٤٩].

- الايمان بضرورة إخراج دراسة النصوص التي تشكّل خطاباً متكاملاً من دائرة النص المغلق على فرديته الى قراءته في ظل المنظومة الخطابية، لما يعطي هذا النص من حركة خطابية متكاملة، فضلاً عن المساهمة في البرهنة على ربط الاحداث وتشكيلها تاريخياً.
- يبدو أن خطاب النهج تفوّق تاريخيا – من حيث صياغة العبارة التاريخية وكذلك توثيق الحدث التاريخي – على خطاب الطبري والمسعودي ، لأنّ الامام (ع) هو جزءٌ من ذلك الحدث وليس ناقلاً أو راويةً له، وهذا يفترض المقارنات المثمرة التي تعطي اضاءة سواءٌ من نصوص النهج او من النصوص التاريخية المعروفة بصفتها التاريخية.

هوامش الدراسة

[1] – ينظر: المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس واخرون: ١٣

[2] – ينظر: الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، علي أومليل: ١٣

[3] – ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي: ج١/ ١١٥

[4] – علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صالح احمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسني: ٢٦

5- initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Maingueneau.p:11

6 - discourse analysis as theory and method. Marianne Jorjensen& Louis J. Phillips :p :1

[7] – ينظر: بلاغة الخطاب التاريخي" اعمال مهداة للدكتور حميد لحمداني، اعداد وتنسيق محمد مشبال: ٨

8- the burden of history . article. H .White. p: 1

9- Entre la nouvelle histoire et le nouveau roman historique. Marta Cichocka. P: 80

[10] – شعرية التاريخ الاسلامي تفكيك تاريخ الطبري، بواز شوشان، ترجمة حيدر الكعبي: ١٧

[11] – شعرية التاريخ الاسلامي: ٢٨

[12] – ينظر: الخطاب والتغير الاجتماعي، نورمان فيركلف، ترجمة محمد عناني: ٩٥-٩٨

♦ – هناك مجموعة دراسات بلاغية وسردية وتوثيقية ودراسات مترجمة في كتاب جماعي يعدُّ الاهم في الدراسات البلاغية العربية هو بلاغة الخطاب التاريخي " اعمال مهداة الى حميد لحمداني ، اعداد وتنسيق محمد مشبال صدر عام ٢٠١٨.

[13] – التاريخ عبر الاستعارة مصر قبل الثورة في خطب السادات، عماد عبد اللطيف، موجز ضمن Jacqemond.r.(2006) Ecrir l,histoire de son temps (Europe et monde arabe): 299

[14] – مصادر نهج البلاغة واسانيده، عبد الزهراء الحسيني، ج٣: ٤٩٤

[15] – ينظر المعجم الفلسفي، جميل صليبيا: ج١/ ٢٨٨

[16] – ينظر نظرية السرد التاريخي عند بول ريكور، جنان بلخن، رسالة ماجستير: ٤٢

[17] – ينظر: الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، سعيد يقطين: ١٩٥

[18] – ينظر: الوعي التاريخي والكتابة التاريخية، رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، ع٢٧: ٩

[19] – التاريخ عبر الاستعارة مصر قبل الثورة في خطب السادات: ٣٠١

[20]– نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣٦٦

[21] – التفسير واللغة والتواصل ، مصطفى ناصف :٢٨٥

[22]– ينظر تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة الى تحليل الخطاب، صلاح حسن حاوي، بحث منشور في مجلة لارك- جامعة واسط، ع٣٢، ت٢-٢٠١٨: ٢٧٠.

[23]– ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شاردو ودومينيك دومنغو، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف: ١٩

[24] – اطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، عماد عبد اللطيف، مجلة الخطاب: ١٩٨.

[٢٥]– ينظر: مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة حسام احمد فتوح وعزة شبل محمد، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف: ٢٦

[٢٦] – الغارات أو الاستنفار والغارات، ابن هلال الثقفي، حققه وعلق عليه عبد الزهراء الحسيني: ١٦٤

[٢٧]– نهج البلاغة: ٣٨٤

[٢٨] – المصدر نفسه: ٣٨

[٢٩] – المصدر نفسه: ٣٨٤

[٣٠] – المصدر نفسه: ٣٦٤

[٣١] – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: م٦/ ٨٩

[٣٢] – نهج البلاغة: ٣٦٩

[٣٣] – ينظر: مناهج التحليل النقدي للخطاب: ٢٦

[٣٤] – نهج البلاغة: ٤٠١

[٣٥]– المصدر نفسه: ٣٤٤–٣٤٥

[٣٦] – المصدر نفسه: ٣٨٤

[٣٧]– نهج البلاغة : ٣٤٤–٣٤٥.

[٣٨]– ينظر: الخطاب والحجاج، ابو بكر العزاوي: ٢١

[٣٩] – نهج البلاغة: ٣٤٥.

[٤٠] – سايكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون: ٨٦

[٤١] – نهج البلاغة: ٣٦٦

[٤٢] – المصدر نفسه: ٣٦٩.

[٤٣] – نهج البلاغة: ٣٦٦

♦ تحدّثنا فيما سبق عن المنظومة الخطابية بوصفها مجموعة الكتب والعهود الموجّهة من الامام علي (ع) الى عماله واهل مصر في المرحلة الزمنية بين تولي محمد بن ابي بكر الى حين ارسال مالك الاشتر لغرض مسك زمام الامارة على مصر.

♦♦ – قيس بن سعد بن عبادة احد اصحاب الامام علي وقد تولّى في زمن خلافته حكم مصر سنة ٣٦ هـ، لكنّ الامام عزله .

[٤٤] – تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري: ج٤/ ٥٥٣

[٤٥]– مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ج٢/ ٣١٧

[٤٦] – المصدر نفسه: ج٢/ ٣١٨

[٤٧] – نهج البلاغة: ٣٦٦

[٤٨] – المصدر نفسه: ٩٣

[٤٩] – تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة الى تحليل الخطاب: ٢٧٩

مصادر الدراسة ومراجعها

- اطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، عماد عبد اللطيف، مجلة الخطاب، ع١٤، ٢٠١٣
- بلاغة الخطاب التاريخي" اعمال مهداة للدكتور حميد لحمداني، اعداد وتنسيق محمد مشبال، دار كنوز المعرفة– الاردن، ط١– ٢٠١٨ .
- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الثانية – دار المعارف– بمصر، د–ت.
- التاريخ عبر الاستعارة مصر قبل الثورة في خطب السادات، عماد عبد اللطيف، موجز ضمن Jacqemond.r.(2006) Ecrir l,histoire de son temps (Europe et monde arabe)
- تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة الى تحليل الخطاب، صلاح حسن حاوي، بحث منشور في مجلة لارك– جامعة واسط، ع٣٢، ت٢–٢٠١٨.
- التفسير واللغة والتواصل ، مصطفى ناصف، عالم المعرفة –١٩٩٥.
- الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، علي أومليل، بيروت معهد الانماء العربي ، د– ت
- الخطاب والتغير الاجتماعي، نورمان فيركلف، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة– القاهرة ، ط١– ٢٠١٧.
- الخطاب والحجاج، ابو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١– ٢٠١٠.
- سايكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، دار الساقي، بيروت – لندن، ط٣– ٢٠١١
- شعرية التاريخ الاسلامي تفكيك تاريخ الطبري، بواز شوشان، نقله الى العربية حيدر الكعبي، منشورات الجمل، ط١– ٢٠١٦.

- علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صالح احمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسني، بغداد – مكتبة المثنى. ١٩٦٣.
- الغارات أو الاستنفار والغارات، ابن هلال الثقفي، حققه وعلق عليه عبد الزهراء الحسيني، دار الاضواء بيروت – لبنان، ط١– ١٩٨٧.
- الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، أعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت، ط١– ٢٠٠٥.
- مصادر نهج البلاغة واسانيده، عبد الزهراء الحسيني، دار الاضواء، بيروت– لبنان، ط٣ –١٩٨٥.
- معجم تحليل الخطاب، باتريك شاردو ودومينيك دومنغو، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار كريستال سيناترا، تونس ٢٠٠٨
- المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت – لبنان، ١٩٩٤.
- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، ايران ـ قم ، د– ت.
- المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس واخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤– ٢٠٠٤.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي، جامعة بغداد، ط٢– ١٩٩٣.
- مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة حسام احمد فتوح وعزة شبل محمد، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط١ ٢٠١٤.
- نظرية السرد التاريخي عند بول ريكور، جنان بلخن، رسالة ماجستير، جامعة منتوري– قسنطينة– الجزائر، ٢٠١٠.
- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ذو الجناحين– النجف، ط.٢٠١١

- الوعي التاريخي والكتابة التاريخية العربية، رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، ع٢٧، س٤، ١٩٨٢.

المصادر الاجنبية

-discourse analysis as theory and method. Marianne Jorjensen& Louise J. Phillips .Sage Publications. London.2002

-Entre la nouvelle histoire et le nouveau roman historique. Marta Cichocka. L'Harmattan 2007

- initiation aux méthodes de l'analyse du discours .Dominique Maingueneau. 1991.

-the burden of history. Hayden.v. White. Wesleyan University.2014